طبعة ثانية

الكتاب : المدخل إلى العهد القديم
المؤلف : د.ق. صموئيل يوسف
صدر عن : دار الثقافة- ص.ب ١٦٢ -١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقم الإيداع : ٧٨٨٠/ ١٩٩٣
الترقيم الدولي : 6- 170 - 213 - 977
المطبعة : مطبعة سيويرس ت: ٦/ ٦٢٢١٤٢٥
الإخراج الفني والجمع : دار الثقافة
تصميم الغلاف : ماري عادل

١٠ / ٥٨٦ طم / ٢-٣ / ١٩٩٣ - ٢٠٠٥

« يَبِسَ العُشْبُ ذَبُلَ الزَّهْرُ

وَأمَّا كَلِمَةُ إلهِنَا فَتَثبتُ إلى الأبَدِ »

(إشعياء ٤٠ : ٨)

الخـروج

أطلق على السفر الثاني من أسفار التوراة اسم «الخروج» حسب الترجمة السبعينية، وذلك للموضوع الرئيسي الذي يتناوله السفر وهو قصة خروج بني إسرائيل من أرض مصر (قارن خروج ١٩:١). أما في الأصل العبري فدعي السفر «وهذه أسماء» وهي كلمات افتتاحية للسفر. إلا أن التسمية «خروج» ليس كافياً للسفر كما يرى بعض العلماء، لأن حدث الخروج لا يحتل من السفر سوى النصف أو أقل من النصف. وسفر الخروج يسرد لنا أعمال الله وقدرته في خلاص شعبه من أرض مصر وقطع العهد معهم في سيناء.

أقسام ومشتملات السفر

أولا : الإسرائيليون في مصر والإعداد لإنقاذهم (١ : ١ - ١٨ : ٢٧).

١- لمحة تاريخية (١ : ١ - ٧) .

٢- بداية العبودية (١ : ٨ - ٢٢) .

٣- الإعداد للخلاص : المرحلة الأولى للعقاب والخلاص (٢ : ١ - ٤ : ٣١).

أ- ولادة موسى والعناية به (٢ : ١ - ٢٥) .

ب- دعوة موسى وإرساليته (٣ : ١ - ٤ : ٣١) .

٤- موسى يقف أمام فرعون بتكليف من الرب (يهوه) (٥ : ١ - ٧ : ٧) .

٥- آيات وعجائب الرب (يهوه) في أرض مصر (٧ : ٨ - ١١ : ١٠).

أ- إرسالية الله لموسى وهرون معيناً له (٧ : ٨ - ١٣) .

ب- الضربة الأولى : تحويل الماء إلى دم (٧ : ١٤ - ٢٥) .

جـ- الضربة الثانية : الضفادع (٨ : ١ - ١٥) .

د- الضربة الثالثة : البعوض (٨ : ١٦ - ١٩) .

هـ- الضربة الرابعة : الذباب (٨ : ٢٠ - ٣٢) .

و- الضربة الخامسة : طاعون المواشي (٩ : ١ - ٧) .

ز- الضربة السادسة : دمامل بثور (٩ : ٨ - ١٢) .

ح- الضربة السابعة : رعد وبرد (٩ : ١٣ - ٣٥) .

ط- الضربة الثامنة : الجراد (١٠ : ١ - ٢٠) .

ى- الضربة التاسعة : الظلام (١٠ : ٢١ - ٢٩) .

ك- الإعلان عن الضربة العاشرة (١١ : ١ - ١٠) .

ثانيا : الفصح - خلاص الرب لإسرائيل من العبودية والارتحال إلى حدود سيناء (١٢ : ١ - ١٩ : ٢) .

١- تكريس جماعة إسرائيل (١٢ : ١ - ٢٨) .

٢- الضربة العاشرة : عقاب الله للمصريين بقتل أبكارهم (١٢ : ٢٩ - ٣٦) .

٣- الخروج من مصر (١٢ : ٣٧ - ١٥ : ٢١) .

أ- الرحيل من أرض مصر (١٢ : ٣٧ - ٤٢) .

ب- تعاليم عن الفصح (١٢ : ٤٣ - ٥١) .

جـ- تقديس الابن البكر (١٣ : ١ - ٦) .

د- عبور البحر الأحمر (١٣ : ١٧ - ١٤ : ٣١) .

هـ- ترنيمة موسى (١٥ : ١ - ٢١) .

٤ - إسرائيل في البرية (١٥ : ٢٢ - ١٨ : ٢٧) .

أ- في مارة وايليم وبرية الخطية ورفيديم (١٥ : ٢٢ - ١٧ : ١٦).

ب- افتقاد ومشورة يثرون (١٨ : ١ - ٢٧) .

٥- وصول الشعب إلى سيناء (١٩ : ١ - ٢) .

ثالثاً: إسرائيل في سيناء (١٩ : ٣ - ٤٠ : ٣٨) .

١- قطع العهد في سيناء (١٩ : ١ - ٢٤ : ١٨) .

٢- تعاليم عن العهد - خيمة الاجتماع والكهنوت (٢٥ : ١ - ٣١ :١٨).

أ- التقدمة لتابوت العهد (اختيارية) خبز الوجوه والمنارة الذهبية وخيمة الاجتماع ونموذج لها (٢٥ : ١ - ٢٧ : ٢١) .

ب- تعاليم خاصة بالكهنة وخدمة التكريس (٢٨:١-٢٩:٤٦).

جـ- تعاليم أخرى تتعلق بالخدمة في خيمة الاجتماع (٣٠ :١-٣١ :١١).

د- علامة السبت ولوحا الشريعة (٣١:١٢- ١٨).

٣- كسر العهد وتجديده (٣٢:١-٣٤:٣٥).

أ- ارتداد الشعب والعجل الذهبي (٣٢:١-١٠).

ب- الوساطة والتطهير (٣٢ : ١١ - ٣٣ : ٢٣).

جـ- تجديد العهد (٣٤ : ١ - ٣٥).

٤- إقامة خيمة الاجتماع (٣٥ : ١ - ٣٩ : ٤٣).

أ- تشريع خاص بالسبت (٣٥ : ١ - ٣) .

ب- تقدمات خاصة بالقُدس (المسكن) (٣٥ : ٤ - ٣٦ : ٣٨) .

جـ- بناء التابوت وأثاث خيمة الاجتماع (٣٧ : ١ - ٣٨ : ٣١) .

د- إعداد وتقديس الكهنة (٣٩ : ١ - ٤٣) .

٥- تدشين وتكريس خيمة الاجتماع وحلول مجد الرب عليها (٤٠ : ١ - ٣٨) .

أ- بناء خيمة الاجتماع (٤٠ : ١ - ٣٣) .

ب- مجد الرب وبهاؤه يملأ الخيمة والمسكن (٤٠ : ٣٤ - ٣٨) .

الأسلوب والغاية من السفر

تعد الآيات الواردة في (خروج ١٩ : ٣ - ٦) المفتاح الرئيسي لفهم السفر « وأما موسى فصعد إلى الله . فناداه الله من الجبل قائلاً: هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل . أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين ، وأنا حملتكم على أجنحة النسور ، وجئت بكم إليّ. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين

جميع الشعوب ، فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة». من هذه الآيات نتعرف على عمل الله القدير في خلاص المتضايقين وعقاب المضايقين وهو الهدف الرئيسي من السفر .

ويمكن تقسيم سفر الخروج على النحو التالي :

(١) من (١ : ٨ - ١٩ : ٦) يحدثنا عن عقاب الشعب المضايق وخلاص الرب للشعب المتضايق .

(٢) من (١٩ : ٧ - ٤٠ : ٣٨) يحدثنا عن المجتمع الجديد الذي يحيا فيه شعب إسرائيل بعد خروجهم من أرض عبوديتهم.

وأحداث سفر الخروج وقعت في مكانين رئيسيين هما مصر وسيناء . وجاءت أحداث سيناء كهدف للأحداث التي وقعت في مصر. وأقسام السفر وردت واضحة وبسيطة حسب تقسيم الأماكن :

من (١: ١- ١٩: ٢) وصف لحالة الإسرائيليين التي كانوا عليها في مصر وكيف خرجوا إلى سيناء.

ومن (١٩:٣-٤٠ :٣٨) وصف للحالة التي وصلوا إليها كشعب أختاره الرب (يهوه) من بين جميع الشعوب.

وسفر الخروج يعد في نظر بعض العلماء حلقة وصل بين بدء تاريخ شعب ورد عنه في التكوين ، وبين بقية الأسفار الخمسة (التوراة). وفي مستهل السفر تبدأ الإشارة عن تكاثر بني إسرائيل ونموهم . بعد ذلك يتحدث عن الإعداد لخروج الشعب من مصر : جانب سلبي فيه ترى العبودية القاسية والمعاناة التي فرضت على شعب إسرائيل وشوق قلوبهم إلى الحرية. وجانب إيجابي حيث نرى الله وهو يُجْري الآيات والعجائب ، ليخرج الشعب معلناً ذاته لهم . إنه الإله «يهوه» إله العهد وفاديهم العظيم. بعد هذا تبعه حدث شق البحر ومنه إلى جبل سيناء .

وبهذا الحدث أراد الله أن يعلن نفسه للشعب ، وأنهم شعب خاص له . وعليهم أن يحفظوا عهده ، ويسيروا حسب شرائعه وأحكامه لما تمتعوا به من عناية ونعمة فائقة أحاطهم بها كما سيتمتعوا بها مستقبلاً .

لهذا جاءت الأصحاحات (من خروج ٢٠-٤٠) متضمنة الشرائع الإلهية التي يجب أن يسير الشعب بموجبها، والوصايا التي هي أساس العهد الذي قطعه معهم يهوه . ثم تأسيس خيمة الاجتماع مكان سكنى الإله القدير وحلول مجده وإعلان بره وقداسته .

جبل الله حوريب (جبل سيناء)

تعددت الآراء وتباينت حول موقع هذا الجبل الذي تسلم عليه موسى نبي الله شريعة الرب . ويرى يوسيفوس Jos-ephus أن هذا الجبل هو جبل موسى حسب التقليد حالياً، وهو عظيم الارتفاع إذ يصل إرتفاعه إلى ٧٥١٩ قدم، ومن الصعب تسلقه في ذلك الوقت لوعورته ولأنه شديد الانحدار . ولأجل هذا كله يرجح بأن جبل موسى أكثر قبولاً أن يكون هو الجبل الذي أعطيت من فوقه الشريعة .

وقد أمضى العبرانيون عند جبل الله حوريب ما يقرب من عام في طريقهم من مارة وإيليم. ووصلوا إليه بعد ثلاثة شهور من ارتحالهم من مصر (خروج ١٩:١) «في الشهر الثالث من خروج بني إسرائيل من مصر. في ذلك اليوم جاءوا إلى برية سيناء». حيث يبعد جبل سيناء من قادش برنيع مسيرة أحد عشر يوماً على طريق جبل ساعير. ويحيط بهذا الجبل وادي فسيح يكفي لأن يمكث فيه جميع العبرانيين مدة عام (خروج ١٩:٢). ويلتصق هذا الوادي بجبل سيناء. وكان كلام الرب إلى موسى «وتقيم للشعب حدوداً من كل ناحية قائلاً: احترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه . كل من يمس الجبل يقتل قتلاً» (١٩ : ١٢). ولم يرد في الكتاب المقدس أن أحداً لجأ إلى هذا الجبل بعد ذلك إلا إيليا النبي وقت هروبه من وجه إيزابل المرأة الشريرة . «فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة

أربعين نهاراً وأربعين ليلة إلى جبل الله حوريب » (١مل ١٩ : ٨).

كاتب السفر وزمن الكتابة

(راجع المقدمة الخاصة بالآراء المختلفة حول كتابة أسفار التوراة).

يؤكد العلماء المحافظون أن موسى هو كاتب سفر الخروج ما بين عام (١٢٦٠ - ١٢٤٠ ق.م) ، الأمر الذي رفضه علماء متحررون وقالوا بأن السفر كتب بعد زمن موسى، استناداً إلى بعض الآيات الواردة بسفر الخروج كما يتضح فيما يلي:

(أ) هذان هما موسى وهرون اللذان كلما فرعون ملك مصر (خروج ٦ : ٢٦ ، ٢٧) . هذه الكلمات في نظرهم لا يمكن أن يكون موسى كاتباً لها. بل كتبها كاتب آخر عاش في زمن ربما يكون بعيداً عن العصر الذي عاش فيه موسى . ويجيب العلماء المحافظون على ذلك بالقول بأن هذه الكلمات هي بمثابة خاتمة لموضوع الأنساب أو المواليد الخاصة بموسى وهرون بعد أن بدأ حديثه من أعمال الله والأحداث التاريخية. وعاد ليكمل حديثه في الأحداث التاريخية ليقول : هذان هما موسى وهرون اللذان كلما فرعون ملك مصر . ويتضح هذا بجلاء واضح بمقارنة العددين (٢٦ ، ٢٧) مع عددي (١٣ ، ١٤) من نفس الأصحاح .

(ب) ورد في (خروج ١٦ : ٣٤) «كما أمر الرب موسى ، وضع هرون ملء العُمر مناً أمام الشهادة للحفظ». هذه الكلمات أثارت تساؤلات بل صعوبة في قبول الاعتقاد أن موسى كتبها. إذ كيف يكتب مثل هذه الكلمات قبل أن يتسلم الشريعة (لوحي الشهادة)؟ والجواب كما يراه علماء الكتاب أن هذه الكلمات الخاصة بالخبز السماوي «المن» يرجح أن موسى كتبها في وقت متأخر ووضعها بين هذه السطور.

اما العدد (٣٥) من الأصحاح السادس عشر، والذي يشير عن الإسرائيليين الذين أكلوا المن في البرية أربعين سنة قبل الدخول في الحديث عن نزوله من السماء وتناول الشعب منه ولو مرة واحدة (من ناحية الترتيب التاريخي)، يرى المتحررون من النقاد أن هذه الكلمات إشارة على أن الكاتب عاش بعد موسى. علماً بأن هذا العدد لا يتحدث عن تناول المن في أرض كنعان. بل يتحدث عن المن الذي أكله شعب إسرائيل حتى جاءوا إلى طرف كنعان. والأرجح - كما يرى المحافظون من العلماء - أن موسى ذكر هذه الكلمات عند ترديده الشريعة أمام الشعب في عربات موآب؛ الشرائع والأحكام والفرائض وعجائب الرب التي صنع لأجلهم في الماضي .

(جـ) جاء في (١٦ : ٣٦) أن العُمر هو عشر الإيفة . وفي نظر العلماء الآخذين بالاعتقاد أن السفر كتب زمن ما بعد موسى لأن العُمر لم يكن معروفاً كمكيال منذ زمن بعيد، ولم يعرف إلا بعد موسى. ويتساءل العلماء الآخذون بالاعتقاد أن موسى هو الكاتب للخروج قائلين : هل ورد شيء في غير هذا الموضع في الكتب المقدسة (ع.ق) عن العُمر على الإطلاق ؟ والحقيقة أنه لم ترد أية إشارة عن العُمر في غير هذا الأصحاح من الخروج في كل العهد القديم. كما أنه لا يمكن الأخذ بهذه الفكرة كبرهان على أن سفر الخروج كتب بعد زمن موسى (خر ١٦:١٦، ١٨، ٢٢، ٢٣). والجدير بالإشارة أن العُمر لم يستخدم كمكيال إلا في جمع المن . وملء العُمر من المن هو نصيب الفرد الواحد في اليوم الواحد ، وفي اليوم السادس عُمران من المن للشخص الواحد ، واليوم السابع سبت مقدس للرب .

مضمون السفر

يستهل كاتب سفر الخروج بالكلمات «وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر». والحرف «واو» يربط السفر بما سبقه من مواد سفر التكوين، وبصفة خاصة (تكوين ٤٦) وقائمة الأسماء في الأعداد من (٢-٥، قارن الأعداد ٨-٢٧، تك ٣٥، ٢٣-٢٦).

ثم يستطرد الكاتب حديثه عن عبودية الإسرائيليين في أرض مصر من (١ : ٨ - ٧ : ٧). ثم قام ملك جديد لم يكن يعرف يوسف قائلاً لشعبه : هوذا شعب إسرائيل أكثر وأعظم منا. « هلم نحتال لئلا ينمو » . وقرر فرعون أن يوقف نمو إسرائيل في العدد والعُدة على النحو التالي :

١- عين لهم رؤساء تسخير لإذلالهم ، فبنوا مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس (عدد ١١).

٢- لم تفلح هذه المحاولة مما زاد عنف المصريين على الإسرائيليين ، ومرّروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقول (عدد ١٣ ، ١٤).

٣- أصدر الملك أمراً للقابلات بقتل أبناء الإسرائيليين الذكور عند الولادة (عدد ١٥ ، ١٦).

٤- أصدر فرعون أمراً لجميع الشعب أن يُطرح في النهر كل ابن يولد للإسرائيليين .

تلك كانت المراحل التي تصاعدت بها أساليب التعذيب، الأمر الذي سيضفي قيمة ومعنى عند قراءة الأصحاح الثاني. إذ بدون الأصحاح الأول يصبح الأصحاح الثاني غامضاً وعسر الفهم . والأصحاح الثاني يحكي لنا قصة ولادة موسى وعناية الرب له ، وإعداده لعمل عظيم مستقبلاً . ويمثل هذا الجزء وحدة متكاملة غير ما يعتقد البعض بانتساب الأعداد (من ١ - ١٠) لأحد المصادر والأعداد (١١ - ١٣) لمصدر آخر . فالأصحاح الثاني يشرح كيف وصل موسى إلى البرية ، لكي يعد القارئ للأحداث الواردة في الأصحاح الثالث والخاصة بدعوته للعمل حتى يذهب ويمثل أمام فرعون ليخرج الشعب من مصر أرض العبودية .

ويمثل هذا الجزء مع ما ورد في سفر التكوين وحدة واحدة لفهم بقية أجزاء سفر الخروج ، حيث لا يستطيع إنسان بشري مهما عظمت قدرته أن يفك قيود هذا الشعب من العبودية والذل ليطلقه من أسره . إنه الرب (يهوه) وحده الفائق القدرة والقوة والسلطان .

عجائب الرب في أرض مصر (٧ : ٨ - ١٣ : ١٦)

يوضح هذا الجزء سمو الله وعظمته ، على آلهة المصريين الباطلة . ولابد لفرعون مصر أن يخضع ويسلم بسلطان إله السماء والأرض . الإله القدير بل الإله يهوه إله إسرئيل ، إذ ليس إله غيره يجب أن يخضع له . وفي هذا الجزء تتمثل لنا أولى عجائب الله ، التي بها يُظهر ذاته ويكشف عن قدرته وطبيعته ، ويخرج الشعب ويذهب بهم إلى أرض كنعان أرض الآباء ، التي تفيض لبناً وعسلاً ، وإلى الشركة معه والتمتع به ليكون شعباً خاصاً له .

لقد ظهرت قدرة الله في الضربات التسع ، والتي تمثل ثلاث ثلاثيات بالإضافة إلى الضربة العاشرة والأخيرة التي قتل فيها الرب أبكار المصريين . والضربات التسع يمكن تقسيمها كما يلي :

المجموعة الأولى :

١- الدم (٧ : ١٤ - ٢٥) .

٢- الضفادع (٨ : ١ - ١٥) .

٣- البعوض (٨ : ١٦ - ١٩) .

المجموعة الثانية :

٤- الذباب (٨ : ٢٠ - ٣٢) .

٥- طاعون المواشي (٩ : ١ - ٧) .

٦- دمامل « بثور » (٩ : ٨ - ١٢) .

المجموعة الثالثة :

٧- رعد وبرد (٩ : ١٣ - ٣٥) .

٨- الجراد (١٠ : ١ - ٢٠) .

٩- ظلام (١٠ : ٢١ - ٢٧) .

وجدير بالإشارة أن المجموعتين الأولى والثانية من مجموعات الضربات الثلاث، كان موسى ينذر فرعون بها قبل حدوثها . وفي الضربة الأولى من كل مجموعة (أي الأولى والرابعة والسابعة) ، كان موسى يقف أمام فرعون عند خروجه إلى النهر في الصباح قائلاً لفرعون : « الرب إله العبرانيين أرسلني إليك قائلاً: أطلق شعبي ليعبدوني في البرية ... بهذا تعرف أني أنا الرب ... إن كنت لا تطلق شعبي » (٧ : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٨ : ٢٠ ، ٩ : ١٣) .

وفي الضربة الثانية من كل مجموعة (الثانية والخامسة والثامنة) ، ترددت ذات الكلمات « قال الرب لموسى أدخل إلى فرعون وقل له : هكذا يقول الرب إله العبرانيين أطلق شعبي ليعبدوني » (٨ : ١ ، ٩ : ١ ، ١٠ : ١).

في الضربات الأولى والرابعة والسابعة (الأولى من كل مجموعة) ، تمت مقابلة موسى مع فرعون على النهر . وفي الضربات الثانية والخامسة والثامنة (الثانية من كل مجموعة) ، تمت مقابلة موسى مع فرعون في قصر فرعون . أما الضربات الثالثة والسادسة والتاسعة (الثالثة من كل مجموعة) ، فقد وقعت دون تحذير سابق (٨ : ١٦ ، ٩ : ٨ ، ١٠ : ٢١). والضربات التسع (ثلاث ثلاثيات) كما سبقت الإشارة تقود إلى الضربة العاشرة .

والجدير بالملاحظة أن هناك تدرجاً في العقاب والتركيز على فرعون لعله يرجع عن قساوة قلبه ويطلق إسرائيل ليعبد الرب الإله . ومن الضربة الثالثة أدرك العرافون أن يد الله مقتدرة وقوية. وقالوا لفرعون : « هذا أصبع الله » (خروج ٨ : ١٩) . ومن هذه اللحظة اختفى العرافون .

وفي المجموعة الثانية من الضربات (الرابعة والخامسة والسادسة) ، جعل الرب فاصلاً بين الإسرائيليين والمصريين (٨ : ٢٣) . بينما المجموعة الأولى(الأولى والثانية والثالثة) ، شملت الضربات كل الأرض . ومن الضربة الرابعة وهي الذباب كانت الضربة خاصة بالمصريين وحدهم . وفي كل الضربات وبصفة خاصة الضربة السادسة (الدمامل والبثور) والضربة الثامنة (الجراد) خصص الله إسرائيل بعناية خاصة .

والتمس فرعون عوناً وخلاصاً من إله موسى بواسطة موسى وهرون في الضربات الثانية والرابعة والسابعة والثامنة والتاسعة ، إذ طلب فرعون وساطة موسى وهرون لدى الله من أجله .

إن هناك تدرجاً في طلب فرعون عون الله بواسطة موسى وهرون كما هو واضح فيما يلي :

١- « صليا إلى الرب ليرفع الضفادع عني وعن شعبي فأطلق الشعب ليذبحوا للرب » (٨ : ٨) .

٢- « قال فرعون أنا أطلقكم لتذبحوا للرب إلهكم في البرية ... صليا لأجلي » (٨ : ٢٥ - ٢٨) .

٣- « أرسل فرعون ودعا موسى وهرون وقال لهما : أخطأت هذه المرة إلى الرب . الرب هو البار وأنا وشعبي الأشرار . صليا إلى الرب » (٩ : ٢٧ - ٢٨) .

٤- قال فرعون : « أخطأت إلى الرب إلهكما وإليكما ... اصفحا عن خطيتي ... صليا إلى الرب ليرفع عني هذا الموت » (١٠ : ١٦ ، ١٧) .

٥- «اذهبوا أعبدوا الرب» (١٠:٢٤). بعدها قال فرعون لموسى. «اذهب عني احترز لا تر وجهي ... يوم ترى وجهي تموت» . فأجابه موسى قائلاً : «نعماً قلت . أنا لا أعود أري وجهك أيضاً» . وتم ذلك بالفعل (١٠ : ٢٤ - ٢٩) .

نخلص مما سبق أن هذا الجزء سجله كاتب واحد وليس من عدة مصادر كما يزعم بعض النقاد . وكان للضربات التسع أثر كبير في إعلان سمو الله ، إله العبرانيين . كما كانت في نفس الوقت اعدادا كافيا للضربة العاشرة بقتل أبكار المصرين وفداء أبكار الإسرائيليين .

وبهذا لم يكن لدى المصريين عذر حتى لا يؤمنوا بيهوه الرب إله العبرانيين خالق السموات والأرض ويعترفوا بعظمته وقوة اقتداره .

«ولكني أقسي قلب فرعون وأكثر آياتي وعجائبي في أرض مصر... فأخرج أجنادي شعبي بني إسرائيل من أرض مصر بأحكام عظيمة ، فيعرف المصريون أني أنا الرب حينما أمد يدي على مصر وأخرج بني إسرائيل من بينهم» (٧ : ٣ - ٥).

ولقد ورد التعبير شدد الرب قلب فرعون ثلاث مرات وذلك في الضربات السادسة (٩ : ١٢) والثامنة (١٠ : ٢٠) والتاسعة (١٠ : ٢٧) .

أما في الضربات الأولى (٧ : ٢٢) ، والثانية (٨ : ١٥) ، والثالثة (٨ : ١٩) ، والرابعة (٨ : ٣٢) ، والخامسة (٩ : ٧) والسابعة (٩ : ٣٥) وردت الكلمات : اشتد قلب فرعون ... أغلظ فرعون قلبه : بمعنى أن طبيعة فرعون هي القسوة والبطش ، كما أنه صاحب قلب غليظ .

غير أن الكثيرين يتساءلون عن الكلمات الواردة في الضربات السادسة (٩ : ١٢) والثامنة (١٠ : ٢٠) والتاسعة (١٠ : ٢٧) : « وشدد الرب قلب فرعون » . وما هو القصد منها ؟ وماذا تعني ؟ وهل حقيقة يُقسي الله قلب إنسان ليفعل ما لا يحسن في عيني نفسه ؟ وهل يُعاقب الإنسان على أفعال لا دخل له فيها ولم يكن فيها أكثر من أداة في تنفيذ ما يريده المسك بها ؟ هل كان فرعون شخصاً صالحاً يتمتع بضمير وعقل صالحين وقلب رقيق لولا تقسية الرب له !؟

يسلط العلماء الضوء الكاشف على طبيعة الله الصالحة ، ومحبته لجميع البشر ، ورغبته في أن يتعرف عليه كل إنسان ، ويجد حصنه لديه . وهذا نجده في سفر الخروج موضوع الدراسة

« الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء ، حافظ الإحسان إلى ألوف ، غافر الإثم والمعصية والخطية » (٣٤ : ٦ - ٧). وكيف لإله له طبيعة الرحمة والرأفة والمغفرة والإحسان أن يقود إنساناً كفرعون إلى إرتكاب هذه الآثام بتقسية قلبه ؟

ويجيب بعض العلماء على هذه التساؤلات بقولهم، إن فرعون كان له القلب القاسي والعنيد جداً . ولأجل ذلك أراد الرب أن يخلص شعبه من يديه. فهو الرجل فرعون ملك مصر الذي جعل على شعب إسرائيل رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم . فبنى الإسرائيليون لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس، واستعبدهم بعنف أكثر . ومرّر حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن ، وفي كل عمل في الحقل وبكل العنف (١ : ٨ - ١٤) . وهو فرعون صاحب القلب المتحجر والقاسي بطبيعته ، الذي أمر قابلتي العبرانيات بقتل كل ابن يولد ، وإن كان بنتاً فتحيا ، غير أن القابلتين خافتا الله ولم تفعلا ذلك (١ : ١٥ - ١٩) .

وهو فرعون صاحب القلب الغليظ العنيد، الذي أمر أيضاً جميع شعبه بطرح كل ابن يولد لشعب إسرائيل في النهر

(خروج ١ : ٢٢).

في ضوء هذه النصوص يرى العلماء أن التعبير «أقسِّي قلب فرعون» والتعبير «شدد الرب قلب فرعون» يقصد به طول أناة الله على فرعون ليفسح له المجال الواسع، حتى يستعرض فرعون قوته وقدراته ويظهر الرب (يهوه) للعالم كله وللتاريخ حجم فرعون أمام اقتدار الرب وسلطانه وسيادته على كل الأرض قائلاً : «فأتمجد بفرعون وكل جيشه بمركباته وفرسانه. فيعرف المصريون إني أنا الرب. حتى أتمجد بفرعون ومركباته وفرسانه» (قارن خروج ١٤ : ٤ ، ٨ ، ١٨). وبهذا يمكن القول أن الرب قسَّى قلب فرعون بأن أظهر لطفه وطول أناته عليه فازداد قساوة وصلابة زاعماً أنه قادر على سحق إسرائيل. لقد ظهر لطف الله نحو فرعون باستجابة الرب لوساطة موسى، فكان الرب يرفع الضربة عن فرعون والمصريين، ومجرد أن يرى فرعون ذلك ، يعود له القلب القاسي من جديد. «فلما رأى فرعون أنه قد حصل الفرج أغلظ قلبه ولم يسمع لهما كما تكلم الرب» (خروج ٨ : ١٥). وعندما خرج موسى من لدن فرعون وبسط يديه إلى الرب مصلياً، أن يرحم فرعون ويرفع الضربة عنه وعن شعبه . «انقطعت الرعود والبَرَدُ ولم يَنْصَبَّ المطر على الأرض. ولكن فرعون لما رأى أن المطر والبَرَدَ والرعود انقطعت عاد يخطئ وأغلظ قلبه هو وعبيده» (٩: ٣٣ - ٣٤).

في هذا يقول أحد الشراح إن نعَم الله لبعض الناس تتحول إلى نقمة، ورحمة الرب للبعض تكون حافزاً لهم على الضلال والبعد عنه. اذ أن هذه هي طبيعتهم . « وشدد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء إسرائيل وبنو إسرائيل خارجون بيد رفيعة » (١٤ : ٨) . ويرى ب. تشيلدز B.S. Childs وآخرون من العلماء، أن الرب شدد قلب فرعون بمعنى أن الرب أسلم فرعون إلى ذهنه المرفوض ليفعل ما لا يليق . لأنه لم يستحسن أن يُبقي الله في معرفته ، فأسلمه الله إلى شهوات قلبه، بأن أطلق له عنان تفكيره وخياله ، لتحقيق شهواته بأنه قادر على إرجاع الإسرائيليين ثانية لإذلالهم وسحقهم تحت قدميه . ولم يعلم أنهم « خارجون بيد رفيعة » (قارن رومية ١ : ٢٢ - ٢٤ ، رومية ٩ : ١٤ - ١٧ ، ٢٢) .

حدث الخروج وقيمته العظمى

يعد حدث الخروج من أرض مصر أهم الأحداث التاريخية في حياة إسرائيل. وإلى هذا اليوم فإنهم يفهمون دعوتهم ومكانتهم في الزمن القديم في ضوء هذا الحدث. مثلهم في ذلك مثل المسيحي الذي يذكر تضحية رب المجد يسوع المسيح في مائدة العشاء الرباني. وكذلك هم أيضاً في عيد الفصح.

ويعد الخروج أيضاً مفتاحاً لفهم من هو الله ، وكيف يعمل لخلاص الإنسان المتضايق ، وحتمية أن يصنع الإنسان عدلاً في الأرض ، ويعمل في إيجابية كرد فعل للحرية التي اختبرها بعد أن عاش في العبودية (ميخا ٦ :١- ٨). الكلمات التي تحدث بها أنبياء ما قبل السبي ٥٨٧ ق.م كثيراً وطويلاً، حتى أنهم لم يذكروا شيئاً عن دعوة إبراهيم وهجرته من أرضه (تكوين ١٢). بل يحدد أنبياء تلك الفترة بداية الشعب الإسرائيلي التاريخية بحدث الخروج من أرض مصر أرض العبودية، والذي حارب فيه الرب عنهم لمسئولية هامة وعظمى وهي أن يكونوا بركة وأمة مقدسة ومملكة كهنة (خروج ١٩: ٤-٦). إنها دعوة دينية ورسالة روحية (خروج ٤ : ٢٣).

وفي القرن الثامن ق.م يُذكِّر عاموس النبي سامعيه بأن إسرائيل ارتبط معاً كشعب وكأسرة واحدة بعمل الله الخلاصي من مصر (٣: ١-٢) موبخاً إياهم لنسيانهم الأعمال العظيمة التي حققها لهم بإعلان اسمه، حيث صار معروفاً عندهم (عاموس ٢: ٩-١١). ويشير هوشع النبي الذي كان معاصراً لعاموس الى ذلك أيضاً في (١١: ١-٤، قارن هوشع ١٤ : ٣). ويتنبر النبي حزقيال على حقيقة هذا الحدث وقصد الله العظيم منه (٢٠: ٥-١٢، قارن مزمور ٨١: ٩-١١، دانيآل ٩: ١٥).

إن حدث الخروج - كما يرى أحد العلماء - هو قلب ومركز تعليم الأسفار الموسوية الخمسة . وسفر التكوين بعد

خلفية تاريخية لهذا الحدث (راجع الأصحاحات من ١٢ - ٥٠).

واحتفل بهذا الحدث في ملحمة شعرية في وقت مبكر (خروج ١٥:١-١٨) بما يطلق عليه بترنيمة البحر (قارن مزمور ٧٧، ١١٤). كما أوضح النبي موسى كليم الرب في سفر التثنية بأن شهادات الرب وأحكامه وفرائضه هي بمثابة خلفية لرحمة الله ونعمته الغنية التي تجلت في حدث الخروج (تث ٦ : ٢٠ - ٢٥). وعندما يأتي الإنسان العابد بابكار حصاده من أرض الموعد يقدمها إلى الكاهن في تلك الأرض معلناً إيمانه بالرب وسجوده لإلهه الذي أخرجه من أرض العبودية بيد شديدة وذراع رفيعة وآيات وعجائب. وأعطاه الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً (تث ٢٦: ٥-١١).

إن هدف الخروج والخلاص من العبودية هو العبادة والسجود للرب، واعلان اسمه العظيم أمام شعوب الأرض كلها. ألم يدافع الرب عنهم حيث لم تكن لهم قوة أو عون بلا رجاء وتجلت قوته في أعماله . سمع - رأى - خَلصَ - بيد رفيعة وذراع ممدودة (خروج ١٣:١٧-١٤:٣١). فقد وقفت القوتان العظيمتان الواحدة في مواجهة الأخرى . إله العبرانيين ممثلاً في موسى كليم الرب ومساعده هرون أخاه، ومن الجانب الآخر فرعون مصر ، الملك العاتي والجبار ومعه السحرة والعرافون وكل قواته وجنوده. إنه فرعون الذي يقرر مصائر الأمور . والذي يُعد تجسيداً للألوهية عند شعبه. ولأجل ذلك اعتُقد أنه يملك كل الحكمة الإنسانية الرفيعة والقوة المطلقة (راجع الأصحاح الأول).

وموسى الذي تربى في قصر فرعون وتهذب بكل حكمة المصريين مدة أربعين سنة ، ورفض أن يكون حفيداً لفرعون، عضده الرب وقواه وأعلن له الله اسمه العظيم (ذاته). وفي لحظة أطلق فرعون الشعب بعد الضربات العشر ، الواحدة تلو الأخرى . وندم فرعون على فعله هذا وقرر أن يتبع الإسرائيلين ليرجعهم ثانية. «فغطت المياه مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر ولم يبق منهم ولا واحد. وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم» (١٤:٢٦ - ٢٩) .

إن قصة حدث الخروج لا تُعد ملحمة بطولية قائدها موسى حتى يُحتفى به كمحرر للشعب . بل يُعد الحدث - كما يرى علماء الكتاب - بمثابة تعظيم وتمجيد لاسم الرب القدوس الذي بذراعه القوية ويده الممدودة خلَّص المتضايقين من أيدي مضايقيهم (٣:٧-٥). وكان موسى وسيطاً بين الله وشعبه وأداة في يد الله لنجاتهم (قارن خروج ٢- ٤). ورغم تربيته في بيت فرعون إلا أنه سلك كعبراني لا غش فيه (٢:١١-١٢). ولاشك في أن أمه كان لها دور كبير في ذلك كما يرى أحدهم، كما أن الحكمة الفائقة التي تهذب بها في قصر الملك كان لها دورها أيضا. وخاف موسى بعد أن عُرِف أمر ما فعل، وهرب من وجه فرعون الذي طلب أن يقتله، وسكن في أرض مديان (٢ :١٣- ١٥). وربما كان سيتي الأول هو هذا الفرعون. ولم يرجع موسى إلى مصر حتى بداية حكم ابنه رمسيس الثاني كما يرى أندرسون (٢:٢٣، ٤ :١٨-٢٠).

وقد اتخذ موسى من أرض مديان ملجأ له في شبه جزيرة سيناء، وأقام مع أحد الرعاة المديانيين حيث نال نعمة في عينيه، وتزوج صفورة إحدى بناته (٢:١٦-٢٢). وكان حمو موسى كاهناً لمديان. وواضح كما يرى جيرهارد ڤون راد Von Rad أن يثرون كان كاهناً للرب ويخدم مع شعب مديان الذي كان يعبد الرب في تلك المنطقة . ولم يكن الإسرائيليون أول من عرفوا الرب (قارن خروج ١٨:٩ -١٢، ١٥، ١٩-٢١، ٢٣، ٢٧).

العليقة المشتعلة غير المحترقة

بينما كان موسى يرعى غنم حميه يثرون كاهن مديان، ساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب (٣: ١-١٧). ورأى موسى ملاك الرب بلهيب نار من وسط العليقة. والعليقة تتوقد بهذه النار ولم تكن تحترق. وكان هذا أمراً مثيراً لموسى، لماذا لا تحترق العليقة؟ وكان اهتمامه شديداً ليعرف حقيقة الأمر. فمال لينظر المنظر العظيم هذا.

فلما رأى الرب أنه مال لينظر – وهذا هو الهدف الحقيقي كما يرى بعض العلماء – ناداه الله من وسط العليقة (الله الذي تمثل له في هيئة ملاك بلهيب نار) (عدد ٢)؛ بمعنى أن هذا المنظر المثير لموسى كان بمثابة تقديم وتهيئة لدعوة وإرسالية الله له . «ناداه الله وقال موسى موسى، فقال هأنذا، فقال له الرب لا تقترب إلى هنا، إخلع حذاءك من رجليك لأن المكان الذي أنت واقف عليه هو أرض مقدسة» (عدد ٥). ثم قال «أنا إله أبيك إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب . فغطى موسى وجهه ، لأنه كان خائفاً أن ينظر إلى الله» (عدد ٦). واستمع موسى دعوته من الرب، ولماذا نزل الرب (عدد ٨). إنه لإنقاذ شعبه من أيدي مستعبديهم حتى يصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة؛ إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً . إنه إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب الإله القدوس الذي يقاوم فرعون الجبار. وحضوره ليس فقط بالكلمة بل العمل ، وليس فقط بالوعد بل الفعل، وهو عامل في التاريخ بل صانعه. وعلى موسى أن يشارك في صنعه . الأمر الذي لم يكن سهلاً أو هيناً على موسى. إنه الإله القدوس النار الآكلة (تث٤:٢٤)، الذي يقف أمام فرعون العاتي والقاسي القلب والصلب الرقبة. وفي نفس الوقت هو الإله الرحيم الذي يشفق على موسى ويشجعه ويعضده بكل قوته بالآيات والعجائب (أصحاح ٣ - ٤، قارن تث ٤ : ٣١).

سبعة أيام تأكل فطيراً

كما سلفت الإشارة، يعد حدث الخروج قمة تتويج الأحداث التاريخية الإسرائيلية ، الذي أعقب الضربة العاشرة والأخيرة بقتل أبكار المصريين من الناس والبهائم (خروج ١٢:١٩-٢٠). وكان على إسرائيل أن تعمل الفصح تذكارا لخلاص الرب لها إذ أنه في أحلك ساعة كسر الرب نير فرعون وخلّص شعبه بمحبة . «فتذبح للرب غنماً وبقراً في المكان المعين من الرب ليحل إسمه فيه. ولا تأكل عليه خميراً».

سبعة أيام تأكل عليه فطيراً الذي هو خبز المشقة لأنه على عَجَلٍ خرج الشعب من أرض مصر. «فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم» (١٢:٣٤). «وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبز ملّة فطيراً إذ كان لم يختمر. لأنهم طُرِدوا من مصر ولم يقدروا أن يتأخروا» (عدد ٣٩). وبعمل الفطير يذكر الشعب يوم خروجه من أرض مصر كل أيام حياته. سبعة أيام يعيدون، يأكلون فطيراً ولا يرى فيه خمير مطلقاً في جميع تخومه (تث ١٦:١-٣). «ويكون حين يقول لكم أولادكم ما هذه الخدمة لكم أنكم تقولون هي ذبيحة فصح للرب الذي عبر عن بيوت إسرائيل» (خروج ١٢:٢٦،٢٧، راجع ١٣:١-١٠).

وعيد الفطير هذا هو تذكار افتقاد الرب لهم بالإنتصار العظيم الذي تحقق لهم من الرب واطلاقهم من العبودية إلى الحرية.. «فطير يُؤكل السبعة الأيام ولا يُرى عندك مختمر ولا يُرى عندك خمير في جميع تخومك، وتخبر ابنك قائلاً، من أجل ما صنع إليَّ الرب حين أخرجني من مصر... لأنه بيد قوية أخرجك الرب من مصر. فتحفظ هذه الفريضة في وقتها من سنة إلى سنة»(١٣ : ٧ - ٨ ، ١٠).

تاريخ حدث الخروج

تعددت الآراء حول تاريخ حدث الخروج من أرض العبودية مصر. فهناك من يرى أن خروج بني إسرائيل من مصر تم خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وآخر يرى بأنه تم في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وثالث يرى بأن الخروج تم في أوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد في عصر رمسيس الثاني ابن سيتي الأول.

الرأي الأول : يستند على ما ورد في (١مل ٦ : ١). وعلى رأس الآخذين بهذا الرأي م.ف.يونجر M.F. Unger «وكان في السنة الأربع مئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من مصر في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل في شهر زيو وهو الشهر الثاني، أنه بنى بيت الرب». فإذا كانت السنة الرابعة لسليمان هي عام ٩٥٦ ق.م يكون تاريخ الخروج هو عام ١٤٣٦ ق.م (٩٥٦ + ٤٨٠) خلال حكم أمنحتب (أمينوفيس). وبذلك يصبح تحتمس الثالث

فرعون التسخير (الضيق) الذي ملك من عام (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م)، والذي تم في عهده بناء مدن عظيمة وهياكل ومعابد (قارن خروج ١:٨، ٢:٢٣). وإذا صح هذا الرأي تصبح حتشبسوت إبنة فرعون ملك مصر «تحتمس الأول» الذي حكم مصر من عام (١٥٢٥- ١٤٩٥ ق.م)، هي التي أخذت الطفل موسى وربته واهتمت به وعاش معها في القصر أربعين سنة حيث تهذب بكل حكمة المصريين.

الرأي الثاني : والقائل بأن الخروج تم في أواخر القرن الثالث عشر، وفي مقدمتهم ك.كتشن K.A. Kitchen حيث تم بناء مدينتي فيثوم ورعمسيس كمخازن من المدن التي بناها الإسرائيليون لفرعون مُسخرهم وقد تأكد بناء هاتين المدينتين أيام رمسيس الثاني (١٣٠١ - ١٢٣٤ ق.م) وأيام والده سيتي الأول (١٣١٩-١٣٠١ ق.م). كما يُعد رمسيس الثاني من أعظم المشيدين لهذه الأبنية العظيمة والمعابد والهياكل. في هذه الحالة يعد رمسيس الثاني فرعون التسخير ومرنبتاح ابنه (الذي ملك من عام ١٢٣٤- ١٢٢٢ ق.م) هو فرعون الخروج. غير أن هذا الرأي رُفض من كثيرين ، لما عثر عليه علماء الآثار من كشف تاريخي هام لأحد اللوحات وقد كتب عليها ما يفيد بإنتصار مرنبتاح بن رمسيس الثاني على الإسرائيليين في فلسطين عام ١٢٢٩ ق.م. فهذه المخطوطة لا تترك للمؤرخين إلا أربع سنوات لا غير هي زمن مكوث الإسرائيليين في سيناء، ودخلوهم أرض كنعان والبقاء فيها ، حتى يأتي مرنبتاح بجيوشه ، ويحقق انتصاره العظيم. بينما نجد في التوراة ما يفيد أن الإسرائيليين مكثوا في البرية ما يصل إلى أربعين عاماً (قارن عدد ١٤: ٣٤).

من الجانب الآخر يدافع أصحاب هذا الرأي عن معتقدهم هذا، قائلين أن الذين انتصر عليهم مرنبتاح لم يكونوا من أرض مصر ولم يشتركوا في رحلة الخروج. ورُفض هذا الرأي من كثيرين من العلماء.

الرأي الثالث : القائل إن الخروج تم في أوائل القرن الثالث عشر ، وعلى رأس الآخذين بهذا الرأي وليم ف . ألبرايت W.F. Albright . وبهذا يكون فرعون التسخير هو سيتي الأول (١٣١٩-١٣٠١ ق.م) الذي بدأ العمل في بناء مدينتي فيثوم ورعمسيس مدينتي مخازن وأتم بناءهما رمسيس الثاني الذي حكم مصر من عام (١٣٠١ - ١٢٣٤ق.م) تقريباً. وهذا الرأي يفسح مجالاً من الزمن للأخذ بما ورد في المخطوطة، والتي تشير إلى انتصار مرنبتاح فرعون مصر وجيوشه على الإسرائيليين في فلسطين عام ١٢٢٩ ق.م (والذي ملك بعد رمسيس الثاني من عام ١٢٣٤ - ١٢٢٢ ق.م).

والمشكلة التي يقترح حلها العلماء أن سني الملوك الأول المشار عنها في(٦:١ - ٢) تمثل اثنى عشر جيلاً لا تزيد عن ثلاثمائة عام ، مدة كل جيل خمسة وعشرون عاماً .

وحقيقة الأمر كما يرى العلماء، أنه لا يمكن تحديد تاريخ الخروج بالضبط ، الأمر الذي لا ينقص من قيمة السفر التاريخية ورسالته الروحية التي تظهر قدرة الله الفائقة متجلية في خلاص شعبه الذي عبر به بحر سوف ماشيا على اليابسة وسط اللجج .

طريق الهروب

خرج الشعب من أرض العبودية على الفور. وطبقاً لما جاء في (خروج ٣٧:١٢) كانوا ستمائة ألف ماشٍ (عدد ٢١:١١). ويرجح البعض أنهم ساروا في طريق البرية حيث أتاهم الله (١٨:١٣) تاركين رعمسيس التي في جاسان (محافظة الشرقية حالياً) حيث كانوا يعملون، عن طريق خليج السويس على طريق سكوت وإيثام (١٣: ٢٠). وكان الرب نفسه يسير أمامهم في شكل عمود سحاب نهاراً وفي شكل عمود نار ليلاً ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً - لم يتركهم مطلقاً - «لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلا من أمام الشعب » (١٣:٢١-٢٢).

والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم

قاد الرب شعبه وسط اللجج وعبروا على اليابسة وسط المياه التي كانت لهم سوراً من اليمين واليسار. غير أنهم تذمروا كثيراً وطويلاً وبدأوا يترحمون على أيام الذل والعبودية أيام كانوا مستعبدين من المصريين قائلين: كان خير لنا أن نستعبد للمصريين من أن نموت في البرية (١٤:١١-١٢). وكان تمردهم هذا واضحاً على الرب الذي قاتل المصريين عنهم «وجعلهم منتصرين على البحر وفي البحر (خروج ١٤: ١٣-٣١). ويقرر علماء الكتاب والمؤرخون بأنه حدثٌ فريدٌ ومتميز أقه الرب لمجده على فرعون وعبيده «حتى يعرف المصريون أني أنا الرب» (١٤:٤). وبالنسبة لإسرائيل يعد هذا الحدث علامة لحضور الله المقيم في وسطهم، الله الذي استخدم قوته ليحقق خلاصهم كما يرى إميل فاكنهام E.Fakenheim لأنه الخالق والفادي ورب التاريخ (قارن١٤:٢١-٢٩).

ترنيمة الانتصار والتمجيد

يصل التعبير عن حدث الخروج إلى ذروته كما يرى أحد العلماء عندما أخذت مريم أخت هرون وموسى الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص قائلة لهم: «رنموا للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر» (١٥:٢١). وتعد هذه التسبيحة في نظر العلماء من أقدم التسبيحات في الكتب المقدسة حيث يعود تاريخها إلى زمن الحدث نفسه. ومريم شاهدة عيان لهذا الحدث العظيم والرهيب. إنه العمل الإلهي نيابة عن الشعب. وعبر عنه الفيلسوف اليهودي مارتن بوبر M. Buber بقوله: إنه حدث مقدس لا يخضع لمناقشة علمية، ويمثل جزءاً هاماً من نسيج تاريخ هذا الشعب الذي خصصه الرب لذاته.

فقد رنم موسى وبنو إسرائيل هذه الترنيمة، ترنيمة الانتصار ... «أرنم للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر. الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأمجده. إله أبي فأرفعه... الرب إسمه...» (قارن خروج ١٥:١-١٨). إنه انتصار للرب (عدد ٢)، «ومن مثل الرب بين الآلهة، معتزاً في القداسة مخوفاً بالتسابيح ، صانعاً عجائب. تمد يمينك فتبتلعهم الأرض» (١٥:١١-١٢). «ترشد برأفتك الشعب الذي فديته ... تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك... الرب يملك إلى الدهر والأبد. يسمع الشعب (الأعداء) فيرتعدون .. يندهش أمراء أدوم. أقوياء موآب تأخذهم الرجفة. يذوب جميع سكان كنعان. تقع عليهم الهيبة والرعب . بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر حتى يعبر شعبك يارب. حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته».

هذه الكلمات تعبر عن عظمة الانتصار على البحر والانتصار في البحر. فالأمر لم يكن انتصاراً على اللحم والدم، بل انتصاراً على الشر والظلم والفوضى اللعينة وكل ما يهدد خليقة الله (مزمور ٧٤:١٢-١٧، ٧٧:١٦-٢٠، ١١٤، وحبقوق الأصحاح الثالث).

ويبدو غريباً بأنه لم ترد أية إشارة في تاريخ مصر القديم عن موسى والعبرانيين وهروبهم من بطش فرعون . وصمت التاريخ المصري القديم لم يكن بغريب كما يرى ك.أ. كتشن K.A.Kitchen[1]. لأن كل ما جاء عن إقامة رمسيس الثاني في الدلتا ومعابده الصخرية والحصينة وقصره الملكي قد اندثر تماماً مع الأرشيفات وما احتوته من سجلات عن العبيد العبرانيين وتمرد قائدهم موسى. لقد فُقدَت جميعها دون معرفة أسباب ذلك.

أما بالنسبة للإسرائيلين، فيعد هذا الحدث أهم الأحداث جميعها، وعليهم أن يخبروا أولادهم إلى جيل الأجيال. وفي ضوء هذا الحدث أمكنهم فهم الأحداث التاريخية المتعاقبة عليهم، وفهم ما قبل تاريخهم أي زمن الآباء والأجداد.

إظهار الله ذاته في أساليب التجلي والآيات والعجائب

لقد أظهر الرب ذاته بطرق وأساليب مختلفة في خلاص شعبه إسرائيل من أرض مصر (خروج ٦ :٧) . كما أظهر

(1) K.A.Kitchen, The Bible in Its World, Archaeology and the Bible Today.

ذاته في الطبيعة بأنه الخالق العظيم ورب الكل وأعظم الجميع . والكتب المقدسة تشهد لهذا الإبداع العظيم (تك ٨ : ٢٢ ، مزمور ١٠٤ : ١٩) «صنع القمر للمواقيت الشمس تعرف مغربها». والطبيعة تكشف لنا حكمة الله وكماله وقدرته وسلطانه الكامل على الكون . ومن عجائبه ما ورد عن حدث عبور الشعب وسط اللجج على اليابسة ، وإخراج الماء من الصخر، وخبز الملائكة «المن » والسلوى أيضاً. وكان في عمود سحاب نهاراً يهدي الشعب في البرية، وفي عمود نار ليلاً، والجبل المدخن والمضطرم بالنار (خروج ١٣: ٢٠-٢٢، ١٩: ١٦-١٩).

هذه الآيات والعجائب، وتجلي الرب (يهوه) بأساليب وطرق متنوعة ، تكشف لنا عن سلطانه الفائق على الطبيعة بالقول وبالفعل . ومن جهة القول فقد ظهر ذلك واضحاً أيضاً في الشرائع والوصايا والأحكام التي تكلم بها الرب إلى موسى ، ولوحي الشريعة المكتوبة بأصبع الله (خروج ٣١ : ١٨ ، ٣٢ : ١٥ ، ١٦ ، ٣٤ : ٢١ ، ٢٨) . ولله جل جلاله القدرة أن يفعل قولاً وعملاً كما سنرى بأكثر تفصيل فيما بعد .

تجلي الرب (يهوه) في صورة ملاك أو إنسان :

وردت الإشارات العديدة عن تجسد الرب في هيئة ملاك . كما ظهر في هيئة إنسان عادي ، إذ لم تكن له هيئة مميزة يمكن بها التعرف عليه بأنه ملاك بجناحين مثلاً وذلك فيما يلي :

١- (تكوين ١٨) : ظهر الرب لأبرام عند بلوطات ممرا ، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، وواحد من الثلاثة تكلم بأنه الرب (عدد ١٣). كما بشّر إبراهيم بمولد إسحق، وتحدث الرب مع إبراهيم عما سيفعله بسدوم وعمورة (عدد ٢٠ ، ٢٢) وعن وساطة إبراهيم لدى الرب (عدد ٢٦). إنه أحد الرجال الثلاثة.

٢- (تكوين ٢٢: ١١-١٣) : ينادي ملاك الرب إبراهيم بالقول : «لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً». ثم يتحدث الملاك إلى إبراهيم، ويظهر بأنه الرب بقوله : «فلم تمسك ابنك وحيدك عني». وينطق إبراهيم بالقول: «الله يُرى God is seen» (عدد ١٤).

٣- (تكوين ٢٤ : ٤٠) : يظهر الملاك هنا بصفة رسول ومرشد.

٤- (تك ٤٨ : ١٥ ، ١٦) : حيث تظهر التفرقة بين الملاك وبين الرب .

٥- (خروج ٣: ٢): يظهر الملاك بأنه الرب « ظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ... فلما رأى الرب أنه مال لينظر، ناداه الله من وسط العليقة» (أعداد ٤- ١٠). وحوار موسى مع الملاك بلهيب نار من وسط العليقة في الأعداد (من ١١-٢٢).

٦- (خروج ١٣: ٢١-٢٢، قارنه بـ ١٤: ١٩): ويظهر الرب في هيئة ملاك مصاحباً في عمود السحاب (قارن ١٣: ٢١-٢٢).

لقد ظهر الرب لشعبه في صورة ملاك وفي صورة إنسان . لأن الإنسان لا يستطيع أن يرى الله ويعيش (خر ٣٣ : ٢٠) . ومن يستطيع المثول في حضرته . لذا أشفق الرب (يهوه) على الشعب في القديم ، وظهر لهم في هيئة ملاك حتى لا يحرقهم أو يفنيهم وجوده ، حيث قال الرب لموسى «أنا أرسل أمامك ملاكاً ، وأطرد من أمامك كل الشعوب الأجنبية إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً . لا أصعد في وسطك... لئلا أفنيك في الطريق » (خروج ٣٣ : ١ - ٣، قارن إش ٦٣ : ٩) . وقد عبر عن ذلك يوحنا في العهد الجديد بأجلى وضوح قائلاً «الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» (يوحنا ١ : ١٨).

٧- يظهر الرب ليشوع بأنه رئيس جند الرب، ويسجد يشوع له (يشوع ٥ : ١٤). ويتضح من العدد التالي (١٥) بأنه هو الذي ظهر لموسى (خروج٣ : ٥). أما في (رؤيا ١٩: ١٠) فنرى الملاك مجرد رسول، وقد منع يوحنا

من السجود له لأنه عبد مثله أمام الرب.

مما سبق يتضح لنا أن الرب الإله بنعمته كان يتجلى ويحل في وسط شعبه ، في هيئة ملاك وفي صورة إنسان أيضاً ، يعيش معهم هادياً لهم ومنقذاً دون أن يفقد شيئاً من هيبته ، ودون أن يهلكهم . إنه الإله القديم الذي ظهر في شخص المسيح يسوع الفادي الكريم ، والذي تفاضلت في شخصه المبارك النعمة الأزلية.

وجـه الـرب

يتساءل كثيرون : هل يمكن للإنسان أن يرى وجه الله؟ وماذا يقصد بذلك؟ جاء في (خروج ٣٣ : ٢٠) قول الرب لموسى : «لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش». ومن الدراسة المتأنية للأعداد من (١٨ - ٢٠) نجد بأن وجه الرب هو مرادف لمجد الرب. ومجد الرب مرادف أيضاً لجود الرب. كما يرى العلماء ومنهم تشيلدز B.Childs أن وجه الرب هو حضوره. كما أن حضور الله متمثل في إحساناته وجوده على الإنسان الذي يتمتع برؤية الله كل يوم . ومرجع هذا الاعتقاد هو قول الرب لموسى عندما طلب من الرب قائلاً : «أرني مجدك» فقال له الرب لا تقدر أن ترى وجهي ... حينئذ قال الرب لموسى «أجيز كل جودتي قدامك» . وجود الله هنا إشارة عن إحساناته التي اختبرها بنو إسرائيل قديماً (هوشع ٣ : ٣ ، إرميا ٣١ : ١٢ ، ١٤ ، مزمور ٢٧ : ١٣) .

وبهذا يمكن للمرء أن يتمتع بمجد الرب ومرأى وجهه البهي في محبته المتفاضلة وإحساناته ورحمته الجديدة للإنسان كل يوم .

اسم الرب (أهيه الذي أهيه)

أعلن الله عن ذاته لموسى وكشف عن اسمه «أهيه الذي أهيه» (خروج ٣:١٤). هكذا تقول لبني إسرائيل « أهيه أرسلني إليكم (يهوه إله آبائكم) إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم . هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور» (٣ : ١٥).

والكلمة «أهيه» يمكن ترجمتها «أنا هو I'am» الكائن والذي كان والذي يكون أو الذي سيكون، أما الكلمة يهوه فهي في صيغة الغائب «هو يكون He is»، ومنها جاءت الكلمة Jehoveh التي انتشر استخدامها بواسطة المسيحيين خلال القرن ١٣ وهي الترجمة الإنجليزية للاسم «الرب The Lord».

والاسم «رب» أو «يهوه»، يتضمن مكنونات خفية بعيدة عن كل فحص واستقصاء. والاسم الإلهي «أهيه» كما يرى علماء الكتاب - يعكس لنا حقيقة هامة، وهي أن الله يكشف عن ذاته في الوقت المعين حسب قصده ومسرته. والفعل المستخدم هنا «أهيه» يُعنى به العامل والكائن بين شعبه. وإله إسرائيل يعلن، أن وجوده وقوته سيظهران بوضوح كامل في أحداث الخروج . هذه الأحداث ستكون إعلاناً وكشفاً مرئياً عن اسم الرب وشخصيته الحقيقية. فالمعنى الكائن والذي كان والذي سيكون معنى واحداً لا فرق ، والأحداث تُظهر الذات الإلهية .

والجدير بالملاحظة أن موسى لم يُرسَل من قبل الله ، ليكون شاهداً أو مراقباً للأحداث ، بل شريكاً وعاملاً في الأحداث . ومعلناً مجد إلهه الذي كشف له عن ذاته ، وكم هو قدوس (خروج ٣ : ٥) ، وبأنه فادي إسرائيل . «لذلك قل لبني إسرائيل أنا الرب . وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين ، وأنقذكم من عبوديتهم . وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة» (خروج ٦ : ٥).

إنه يهوه الذي لم يتعرف عليه الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب بهذا الاسم « ... أنا الرب ، وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء באל שדי . وأما باسمي يهوه فلم أُعرَف عندهم» (٦:٣). لقد عرفه الآباء بأنه القادر على كل شيء فقط، كما يرى أحد العلماء. أما هو فأكثر من ذلك إنه أهيه אהיה يهوه יהוה .

عرفه الآباء أنه القدير ، الذي يسد كل احتياجاتهم. فنجد إبراهيم يصرخ إلى الله شاكياً ومنزعجاً (تكوين ١٥ : ٣ - ٥) . وآمن إبراهيم بإلهه وأعطاه إسحق . كما لم يُمسك إبراهيم ابنه إسحق عن الرب إذ آمن بالقادر على الإقامة من الأموات (عب ١١:١٧- ١٩).

كما أنه الإله الذي اختبر قدرته إسحق بتخليصه من أعدائه . الذي جعل أعداءه يسالمونه ، قائلين لإسحق « قد رأينا أن الرب كان معك، فقلنا ليكن بيننا حلف ... ونقطع معك عهداً» . لقد أوقع الرب في قلوب أعدائه رعباً ليهابونه (تك ٢٦ : ٢٦ - ٢٩). إنه القادر على كل شيء .

هذا الإله القادر على كل شيء اختبره أيضاً يعقوب الوحيد الطريد، والهارب من وجه عيسو أخيه، حتى لا يقتله. وهنا افترش يعقوب الصحراء، واتخذ من حجارتها وسادة لينام. وظهر له الرب، مطمئناً إياه في حلم الليل (تك ٢٨: ١٠-١٥). كما سار به كل الطريق وباركه، وغير اسمه قائلاً له «لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت» (قارن تك ٣٢: ١٠ - ١٢، مع ٣١: ٤٢). إنه القدير الذي خلصه من بطش عيسو المستبيح والزاني (عب ١٢:١٦-١٧) الذي رفض البكورية (بأن يكون مسئولاً عن شئون عائلته مكان أبيه). بل رفض إله أبيه، والتصق ببنات حث، أشر من في الأرض (تك ٢٦:٣٤ -٣٥). الأمر الذي ضعفت أمامه رفقة واستحسنت أن الذي رفض أن يكون مسئولاً في البيت وعنه، بلغة تنم عن اليأس وعدم الرجاء ، ظهرت في قوله : «أنا ماض إلى الموت. فلماذا لي بكورية؟» (تك ٢٥:٣٢)، بأنه يجب أن يحرم من البركة التي هي أجرة أمانته وتمسكه بالبكورية. والذي رفض البكورية يتحتم أن يُرفض من البركة. ولعل رفقة رددت هذه الكلمات في باطنها وهي في الجسد كما يرى أحد الباحثين.

والواضح أن رفقة أخفت عن زوجها إسحق تصرفات ابنه عيسو الماجنة والنجسة، حتى لا تأتي بشيبته بحزن إلى الهاوية. إذ كان قد تقدم في السن وذبلت نضارته وكلّت عيناه عن النظر (٢٧:١). والملاحظ أيضاً أن إسحق إستشعر أن في الأمر شيئاً قد أخفي عن عينيه حتى أكد بركته ليعقوب قائلاً: «نعم ويكون مباركاً» (٢٧:٣٣).

إلا أن يعقوب جني ما زرعه بمكر مع أبيه كما يرى أحدهم (قارن تكوين ٢٩:٢١-٢٢، ٢٥- ٢٨)، كما عاني الكثير ليحصل على استحقاقه من خاله لابان (٣١:٧)، لولا إله أبيه إسحق الذي كان معه (٣١:٥). وقد شهد خاله لابان عن ذلك قائلاً : «في قدرة يدي أن أصنع بكم شراً. ولكن إله أبيكم كلمني البارحة قائلاً احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر» (٣١:٢٩). عندئذ أطلق يعقوب صيحته قائلاً : «صغير (دون أن أستحق) أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك» (٣٢:١٠). إنه الإله القادر على كل شيء، الذي حفظه في كل الطريق ، وقد صار شعباً كثيراً «بعصاي عبرت هذا الأردن والآن قد صرت جيشين» (عدد ١٠ ب).

هذا الإله القدير عرفه الآباء قديماً عندما سدد كل احتياجاتهم، لكن لم يعرفوه باسمه يهوه، كما أعلن عن ذاته لموسى قائلاً : «وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شئ (فقط). وأما باسمي يهوه فلم أُعرف عندهم» (خر ٦:٣، قارن خر٣:١٤-١٥). «هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور». إنه يهوه الذي شق البحر أمام الشعب وعبروا على اليابسة وسط اللجج، والمياه سور عن اليمين وسور عن اليسار (خروج ١٤:٢٢).

ويرى أ. فاكنهايم E. Fakenhiem بأن ما تمتع به موسى وهرون ومريم عند شق البحر لا يقل - إن لم يزد - عما تمتع به بطرس ويعقوب ويوحنا على جبل التجلي. إنه الرب الذي فجّر لهم الماء من الصخرة (خر ١٧:٦، عدد ٢٠ : ٧ - ١١) وعالهم أربعين سنة في البرية وأطعمهم المن والسلوى. ثيابهم لم تبل عليهم وأحذيتهم لم تبل أيضاً (تث ٨ : ٤، ٢٩:٥).

كان الرب نفسه يتقدمهم في عمود سحاب نهاراً وفي عمود نار ليلاً ليهديهم. «لم يبرح عمود السحاب نهاراً

وعمود النار ليلاً من أمام الشعب» (خروج ١٣:٢١-٢٢).

إنه الرب يهوه «أهيه» ليس فقط قادر على سد احتياج الإنسان الفرد، بل هو أكثر بكثير جداً مما يتصوره إنسان أو يدركه بذهنه المحدود.

ويربط علماء الكتاب بين الاسم «أهيه الذي أهيه I'am who I'am» «أنا هو» وبين ما جاء في الأناجيل عن الرب يسوع المسيح : «أنا هو ... نور العالم ... الراعي الصالح ... الطريق والحق والحياة ... القيامة والحياة ...». إنه الكائن قبل كل الدهور ... قبل تأسيس العالم ... «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (قارن يوحنا ٨ : ٥٦ - ٥٨). إنه الرب الذي لأجله حسب موسى كل شيء نفاية، ولم يرضَ أن يكون حفيداً لفرعون، مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله ... حاسباً عاره غنى أفضل من خزائن مصر (عب ١١ : ٢٥ - ٢٦) .

إنه الرب الذي يبدد كل خوف ورعب من حياة تلاميذه وهم يواجهون الموت بالغرق في البحر مخاطباً إياهم قائلاً : «أنا هو لا تخافوا» (مرقس ٦ : ٥٠، قارن أيضاً يوحنا ١٨:٦) حيث امتلأ آخرون من الرعب وسقطوا إلى الوراء عند سماعهم «أنا هو».

العهد في سيناء (١٩:١-٢٤:١٨)

وصل الإسرائيليون إلى جبل الله بعد ثلاثة شهور من ارتحالهم من أرض مصر . وحالما خيم الشعب في سفح الجبل، صعد موسى إلى الله وناداه الرب من الجبل قائلاً : «هكذا تقول لبني إسرائيل : أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليَّ . فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة» (خروج ١٩ : ١ - ٦). وقدم الرب لموسى كل التعاليم، لإعداد الشعب، حتى يدخلوا معه في عهد ، ويُعدهم لنفسه شعباً مباركاً ، غيوراً ومقدساً له (أعداد ٤-٩). ويعلن الرب لهم عن ذاته (أعداد ١٠-١٥) وعن قداسته (١٥-٢٠) .

العهد

جاءت الكلمة «عهد» في العبرية بمعنى «يأكل». إشارة للوجبة المصاحبة لإقامة الاحتفال الخاص بالعهد (قارن تكوين ٢٦ : ٣٠). والتعبير «قطع عهداً»، إشارة إلى ذبح الحيوانات لهذا الحفل المقام بمناسبة العهد . والمعنى الثاني اشتق من أصل أشوري يُعنى به رباط أو وُثُق (رباط الشركة).

أساليب وأنماط العهد في الشرق الأدنى القديم

تضمنت الأسفار المقدسة (العهد القديم) مجموعة مختلفة من العهود:

(١) عهد بين شخصين متساويين: إبراهيم وأبيمالك (تك ٢٠:٢٨-٣٠). كما ضم هذا العهد العشائر والأنساب.

(٢) بين داود ويوناثان (١صم ١٨:١-٥، ٢٠:١-١٦).

(٣) عهد السيادة المطلقة بين الله وبين إسرائيل وذلك في برية سيناء (خروج ١٩:٢١). وهذا العهد قريب الشبه بأنماط العهود في الشرق الأدنى القديم التي كانت بين الولاة والسلاطين وعامة الشعب. وجاء ذكر هذا النوع من العهود في تثنية وسفر يشوع .

وبنود العهد كما يلي:

١- تقديم: بيان بأسماء وألقاب وصفات الملك، الوالي العظيم.

٢- مقدمة تاريخية كوصف للعلاقات القديمة بين طرفي المتعاهدين . والتأكيد على فعل الخير من جهة الملك نحو

رعيته (خروج ١٩ : ٤) «أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين، وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ».

٣- الأحكام والفرائض التي يجب أن تلتزم بها الرعية. (قارن خروج ٢٠ :١-١٠).

٤- الاحتفاظ بالعهد كتابة، لقراءته من وقت لآخر، وبصفة منتظمة أمام الشعب (قارن ٢٤ :٤). «فكتب موسى جميع أقوال الرب وبكّر في الصباح، وبنى مذبحاً في أسفل الجبل اثني عشر عموداً لأسباط إسرائيل الاثنى عشر».

٥- أسماء الآلهة الخاصة بالملك وبالرعية كشهود للعهد بين الطرفين.

٦- قائمة باللعنات والبركات (قارن تث ٢٧).

الوصايا والأحكام الخاصة بالعهد:

١- يرى بعض النقاد أن الأصحاح العشرين من سفر الخروج، كتب في زمن ما بعد موسى، أي ما بعد المصدر(D) الذي تعود كتابته إلى القرن الخامس ق.م. وهذا غير صحيح. ولا يوجد ما يدعو إلى رفض الاعتقاد أن الأصحاح العشرين من الخروج سابق في كتابته لسفر التثنية (الأصحاح الخامس) كما تضمن الأصحاح (٥) من التثنية إشارات إلى ما سبق وعلّم به الرب من زمن مبكر جداً عما يعتقد به هؤلاء النقاد (قارن تث ٥:١٢، ١٥، ١٦).

٢- أشار البعض أن حفظ السبت لم يلتزم به الشعب في الصحراء بالإضافة إلى أن يوم السبت كان عادة كنعانية. إلا أن حفظ اليوم السابع هو سبت راحة مقدس للرب، له أساسه الواضح في (تك ٢:٢، ٣، قارن أيضاً خروج ١٦ : ٢٣ - ٢٩ الخاص بحفظ يوم السبت في البرية في الصحراء، والكلمات الواردة في (هوشع ٢ :١١). مما يترتب عليه رفض الاعتقاد أن يوم السبت هو إجراء كنعاني.

توضح النصوص الواردة في (٢٠:٢٢-٢٣:٣٣) أن موسى هو كاتب هذه الأجزاء الكتابية (قارن ٢٠:٢٢، ٢١: ١) كأسلوب عبادة في إسرائيل وكبيان للحقوق المدنية. وكان الشعب يتعبد للرب في المكان الذي يظهر لهم ذاته فيه.

٣- أما عن الشرائع والأحكام المدنية الواردة في (خروج ٢١ : ١ - ٢٣ : ١٣) والتي اعتقد بعض النقاد أنها كتبت مؤخراً ، زمن ما بعد موسى، فقد أعطاها الله للشعب على يد موسى لضمان الأمن والاستقرار السياسي وبناء مجتمع مدني . ولم يقصد أن تعمل بها إسرائيل في الصحراء (البرية) ، بل قصد موسى أن تعمل بها إسرائيل مستقبلاً في أرض كنعان أرض الموعد (٢٠: ٢٢ ، ٢١ : ١ ، ٢٣ : ٩ ، ١٥ ، ٢٠ - ٢٣، ٢٧- ٣٣). وخاصة في الحديث عن الزراعة ، وإظهار المحبة نحو العوزين والمحتاجين، وحفظ حقوق الآخرين (قارن ٢٣ :١- ١٣)، والتشريع الخاص بالاحتفال في الأعياد الثلاث : عيد الفطير، وعيد الحصاد، وعيد الجمع (المظال) (٢٣: ١٤ - ١٩). ثم جاءت المصادقة على هذا العهد في (خروج ٢٤ :١-١٨).

وتكمن القيمة الأساسية للعهد في أنه إعلان لاختيار الله السابق لهذا العهد، حيث لم يكن العهد مجرد ارتباط شرعي بين الله وبين إسرائيل، بل هو برهان وتأكيد لنعمة اختيار الله لهذا الشعب، والخلاص الذي تحقق لهم بواسطة يهوه. وهذا الإمتياز الذي تمثل في نعمة الاختيار وما تبعه من فداء وخلاص من أرض العبودية. والامتثال الحتمي لهذه النعمة، وما لها من فرائض وأحكام، هما قلب ومركز هذا العهد بين الله وشعبه إسرائيل.

فلم تكن هذه العلاقة مجرد اتفاق تم بعد مناقشة موسعة بين طرفين متساويين، بل هي سيادة النعمة الإلهية المتفاضلة كما يرى جون موري J. Murry والتي تمثلت في الشركة بين الله وإسرائيل. وقد أقيم العهد تبعاً لذلك بسلطان إلهي. وعلى إسرائيل أن تمتثل وتخضع لاختيار ونعمة الله.

فقد سبق الرب وأقام عهده مع إبراهيم (تك ١٥) ومع نسله إلى الأبد قائلاً له « بإسحق يدعى لك نسل » . وعهد سيناء أقيم مع إسرائيل إتماماً لهذا الوعد مع إبراهيم .

وكان إذ تنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا، فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية، وسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم، وإسحق، ويعقوب. لأجل ذلك، أرسل الرب موسى قائلاً له: اذهب واجمع شيوخ إسرائيل، وقل لهم: إله آبائكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ظهر لي قائلاً إني قد افتقدتكم وما صُنع بكم في مصر، (خروج ٢:٢٤، ٣:١٦). وخاطب الرب موسى بالقول هكذا تقول لفرعون: إسرائيل ابني البكر (٤ : ٢٢).« قل لبني إسرائيل : أنا الرب، وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة، واتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً فتعلمون أني أنا الرب إلهكم الذي يخرجكم من تحت أثقال المصريين، وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحق ويعقوب، وأعطيكم إياها ميراثاً. أنا الرب» (خروج ٦:٦-٨).

إنها علاقة روحية تتطلب أمانة في الحياة، وولاءً من الإنسان. «أتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً » (خر ٦ : ٧). وحتى يمكن للإنسان أن يتمتع ببركات هذا العهد، عليه أن يستمع لصوت الله ويحفظ هذا العهد (خروج ١٩ : ٥) «إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب» (قارن خر ٢٤ : ٧ ، ٨ ، مع لاويين ١٩ : ٢). «وكلم الرب موسى قائلاً ... تكونون قديسين لأني قدوس الرب إلهكم» .

عهد سيناء للخير

تمثل العهد في سيناء في الأصحاحات التاسع عشر إلى الأصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج ، بالإضافة إلى الأصحاح الثاني والثلاثين إلى الرابع والثلاثين من نفس السفر . ونجد ذلك مطولاً في سفر التثنية من الأصحاح الخامس إلى الثامن والعشرين .

لقد تأصلت إسرائيل الله في البرية بل وجدت ذاتها هناك . وتبعهم لفيف كبير من المصريين بمحض إرادتهم ، رغبة في الحرية من العبودية التي كانوا يعانون منها . حيث كانوا يفتقرون إلى معرفة هويتهم والتمتع بحياة إنسانية طبيعية كما يرى أحد العلماء . بمعنى أن يصيروا شعباً للإله الحي (١٢:٣٨، قارن أع ٧ : ٣٨). وقد عبَّر النبي إرميا عن ذلك أن صارت إسرائيل قدساً للرب، ودخلت مع الرب في محبة وعهد مقدس (إرميا ٢:٢-٣). وربما يقود الرب إسرائيل إلى البرية ثانية وهناك بعيداً ... بعيداً في السكون يتحدث إلى قلبها (قارن هوشع ٢:١٤-١٥). كما كان الرب في القديم يتحدث إلى موسى، والشعب أصغى إلى صوته كشعب مقدس وخاص للرب.

إن الهدف الأسمى من خلاص الرب لشعبه من العبودية في مصر هو عبادة الرب (يهوه) الإله الحي خالق السماء والأرض وما فيها (خروج ٣ : ١٢). لكن الشعب أمام الصعوبات العديدة التي واجهها لم يستطع الصمود أمامها وتذمروا (١٦ : ٣). بل ضعف إيمانهم بقولهم: أفي وسطنا الله أم لا؟! رغم كل العجائب العظام التي أجراها لهم ومعهم. وأمام تذمرهم هذا وقردهم على الرب، أظهر لهم لطفه. بل تجسدت نعمته الفائقة في البرية القاحلة بالعون اليومي بالطعام والماء ، والمن والسلوى (خروج ١٦:١ - ٣٦). والكلمة العبرية « المن » تعني « ما هذا ؟! » (١٦ : ١٥) علامة للتعجب والدهشة . فقال لهم موسى: هو الخبز الذي أعطاكم الرب لتأكلوا (قارن عدد ٣١ ، مع يوحنا ٦ : ٣١) . ولم يكن المن كافياً بالنسبة لهم، بل تذكروا الطعام الأفضل بالنسبة لهم في مصر (السمك والقثاء والبطيخ والبصل والثوم) (عدد ١١:٤ - ٦). وظهر تذمر الشعب بوضوح في مواضع عديدة (قارن خروج ١٥:٢٢-٢٦ في مارةٌ)، وفي (خروج ١٦:٢ - ٣) عن اشتياقهم للحم في مصر. (١٧ : ٢ - ٧) في مسَّة ومَريبة. وفي (عدد ١١ :٤ - ٦) شكوي بسبب المن. وفي (عدد ١٢ : ١ - ٢) نقدهم لموسى بسبب زواجه من

المرأة الكوشيـة. وضد قيـادة موسى وهرون (قارن عـدد ١٤ : ٢ - ٣، عـدد ١٦ : ١٢ - ١٤)، وفي (عدد ٢٠: ٢ - ١٣) الشكوى من الحياة في البرية. وفي (عـدد ٢١ : ٤ - ٥) تذمر وقلق مصحوباً بضيق شديد موجه إلى الله وعبده موسى «لماذا أصعدتمانا من مصر (إنه لعبادة الرب بأن يكونوا له شعباً وهو إلهاً لهم - قارن خروج ٢٣:٤، ٥:١، ١٦:٧) لنموت في البرية لأنه لا خبز ولا ماء (وهذه ضلالة كبرى) وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف».

إن حياة البـرية لشعب إسرائيـل - كـمـا يرى علماء الكتـاب - هي حيـاة الاخـتـبار والتـدريب، للاتكال الكامل واليـومي على الرب ورحمـتـه الفـائقـة والدائمة. « فـأذلك وأجاعـك وأطعمك المن الذي لم تكن تعرفه ولا عرفه آباؤك لكي يعلمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان» (تث ٨ : ٣).

وفي الشـهـر الثـالث من خروج الشعب من أرض مـصـر ، وصلوا إلى برية سيـنـاء، ونزلوا في البـرية مـقـابل الجبل (خروج ١٩:١- ٢). وقد تأسس العهد في جبل الله (١٣:٢٤، قارن أيضاً ١:٣). ولا يُعرف بالتـحـديد أو بالتأكيد مكان هذا الجبل ، جبل الله حوريب . كـمـا لا يهـتم كثيرون بهـذا الأمـر ، بل جل اهتمامهم هو كلمات العـهـد في سيناء بعد خروجهم من مصر، لأنه أساس وأصل وجود الشعب . غير أن بعـض العلماء، وفـي مقـدمـتـهـم ج. رايت G.E. Wright يرى أن جبل موسى حالياً هو جبل حوريب جبل الله[1] . وفي هذا يتفق مع يوسيفوس كما سلفت الإشارة .

أجنحة النسور

وصل شعب إسرائيل بعد ثلاثة شهور من ارتحالهم إلى جبل سيناء كما سلفت الإشارة (١:١٩). وحمل الرب شعبه كما يحمل النسر صـغـاره «هكذا تقول لبيت يعقـوب وتخبر بني إسرائيل. أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين ، وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعـوب. فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقـدسـة. هذه هي الكلمات التي تُكلم بهـا بني إسرائيل» (١٩ : ٣ ب-٦).

هذه الكلمات تتطلب تجاوباً من الشعب بأن يتخذوا قـراراً، ولهم أن يتمتعوا بكل هذه الامتيازات . «وإن سمعتم لصوتي وحفظتم عـهـدي تكونون لي خاصة». وعلى جماعة الرب المختـارة هذه أن تنظم حيـاتها وفقاً لأحكام ووصايا الرب القدير .

ويرى أحد العلماء أن هذا النص (١٩: ٣-٦)، يتضـمـن عموميـة (شمـولاً) وخصوصية . بأن محبة الله تضم كل الشعوب ولا تعرف المحدودية «لأن لي كل الأرض» (١٩:٥ ب). ومن هذه الشعوب يخصص الرب شعباً واحداً خاصاً بعينه، وبمحبـة خاصـة ليس لامتياز فيه ، بل لعمل ومهـمـة خاصة بأن يكونوا مملكة كهنة مكرسة لخدمة بعينها (قارن ١بط ٢:٥، ٩). وعلى شعب العهـد أن يحفظ شرائع الرب وأحكامه (١٩:٩-٢٠).

إقامة أو صنع العهد

كان من المتبع عند إقامة أو صنع عهد أن يقام احتفال (خروج ٢٤) وهو عبارة عن وليمة مقدسة على قـمة الجبل، يشارك فيه ممثلون عن إسرائيـل ومعهـم موسى وابنـا هرون الكاهن (٢٣:٦) والسبعون شيخاً « رأوا الله وأكلوا وشربوا » (١٠:٢٤). وتـكـرر هذا المنظر البهي في (إش ١:٦-٣) ولم يصبهم أي أذى من رؤيتهم القدير (٢٣: ٢٠، قارن إشعياء ٥:٦).

والمشاركة في تناول الطعام كانت إحدى السبل في ختم العهد في الزمان القديم. (قارن تكوين ٣١ : ٤٦ ، وعدد ٥٤ عن العهد الذي أبرمه يعقوب مع لابان - وقارن أيضاً تكوين ١٥ : ٧ - ٢١، وخاصة إرميا ٣٤ : ١٨ - ١٩ .

(1) G.E. Wright, Biblical Archeology, Westminster Historical Atlas to the Bible, pp.38-39.

كما أن سفك الدم يعطي قوة حتى يدخل الطرفان في عهد معاً. وامتد هذا إلى العهد الجديد (١كو ١١: ٢٥).

وهذا العهد هو عهد التزام، مشروط بالطاعة والإستماع للرب (خروج ١٩: ٥).

إن عهد سيناء مبني على العهد الذي قطعه الرب مع إبراهيم ونسله (تك ١٧: ٧-٨). ويوم السبت مقدس، علامة بين الله والشعب «لتعلموا أني أنا الرب الذي يقدسكم» (خروج ٣١: ١٢- ١٧) .

وعليه فإن خلاص الشعب من العبودية في أرض مصر مؤسس على تذكار العهد مع إبراهيم وإسحق ويعقوب (خروج ٢: ٢٤، ٦: ٢- ٨). كما أن تأسيس العبادة الطقسية الكهنوتية في سيناء (قارن الأصحاحات ٢٥ - ٣١ ، ٣٥-٤٠) هو بمثابة تتميم عهد الرب أن يكون إلهاً لشعبه (تك ١٧: ٧)، حالاً في وسطهم (خروج ٢٩ : ٤٥ - ٤٦). وعلى الشعب أن يلتزم بشروط هذا العهد المبني في (خروج ١٩: ٣- ٦، ٢٤ :٣-٨) وبكل العزم والأمانة .

وعند نقض العهد كان الشعب يقع في البلاء والدينونة والعقاب الشديد، الأمر الذي أوضحه وتحدث عنه الأنبياء فيما بعد .

هذه الشرائع والأحكام التي على الشعب أن يلتزم بها ويمتثل لها ، تكرر ورودها فيما يسمى بشريعة العهد (قارن تث ١٢ - ٢٦). وفي الكلمات العشر (الوصايا العشر) (خروج ٢٠: ١-١٧)، والشرائع والأحكام في (خروج ٢١ - ٢٣) . هذه كلها وضحت قيمتها ومعناها بأن اختصرت في وصيتين اثنتين إيجابيتين : تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ، وقريبك مثل نفسك (تث ٦: ٥، لاويين ١٩: ١٨ ب). وقد أوضح رب المجد بجلاء كامل وتام أهمية هاتين الوصيتين قائلاً: بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء (مرقس ١٢ : ٢٨-٣٤، متى ٢٢: ٣٤-٤٠، لوقا ١٠: ٢٥-٢٨) .

إن عهد الرب مع موسى وشعب إسرائيل هو عهد نعمة

لأنه لم يكن متكافئاً ، وذلك في ضوء المعاهدات الدولية . ووفقاً للمخطوطات الحثية التي ترجع إلى أواخر الألف الثانية قبل الميلاد[1]، كان من المحتم أن يكون طرفا العهد متساويين . وهنا نجد الرب يهوه خالق الأكوان الإله غير المحدود الأزلي الأبدي يقطع عهداً مع إنسان ترابي مخلوق محدود ، وهكذا أخذ الرب المبادرة الرحيمة مخاطباً موسى من الجبل المدخن والمضطرم بالنار، والشعب واقف في رعب وخوف شديدين قائلاً له: «هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل . أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين ، وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ» (١٩ : ٤) . «أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية» (٢٠ : ٢).

وهنا نلاحظ تجسيد النعمة المخلصة من العبودية والضيق . ومن الجانب الآخر كان على إسرائيل أن ترتبط وتلتصق بالرب الذي حررها بآيات وعجائب كثيرة ، وترتبط معه بعهد طاعة وخضوع ، اعترافاً وعرفاناً بإحساناته .

إن عهد سيناء هذا بأحكامه وشرائعه الذي قطعه الرب مع شعبه بعد حدث الخروج من العبودية مباشرة، يعد تجسيداً لرحمة الله ولطفه ومحبته القوية لهم .

كما أن هذه الشرائع والأحكام تعطي جواباً لتساؤل الأجيال المتلاحقة عن طبيعة هذا الإله المحب الودود. « إذا سألك ابنك غداً قائلاً: ما هي الشهادات والفرائض والأحكام التي أوصاكم بها الرب إلهنا؟ تقول لابنك : كنا عبيداً لفرعون في مصر، فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة، وصنع الرب آيات وعجائب عظيمة ... فأمرنا الرب أن نعمل جميع هذه الفرائض، ونتقي الرب إلهنا ليكون لنا خير كل الأيام ... وإنه يكون لنا بر إذا حفظنا جميع هذه الوصايا لنعملها أمام الرب إلهنا كما أوصانا » (تثنية ٦: ٢٠-٢٥).

(1) George E. Mendenhall, Law and Covenant in Israel and the Ancient Near East.

ولقد قبل الشعب الالتزام بشرائع العهد وأحكامه، في سرور وابتهاج قلب، فرحين بالرب الذي أجرى عجائبه معهم ولهم (قارن خروج ٢٤:٣، ٧).

إصنع لنا آلهة تسير أمامنا (كسر العهد)

وضح تمرد الشعب وعناده بكسر عهد الرب، بأن طلبوا إلى هرون الذي لم يردعهم قائلين له: «اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا هو موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه». (خروج ٣٢:١، ٢١-٢٤).

والدارس للسفر يلاحظ أن الأصحاحات من (٣١ - ٣٤) تبدأ بأحداث مفاجئة ومثيرة للدهشة، مثل صنع العجل الذهبي الذي يُعبِّر عن كل عناد وتمرد من جهة الشعب، نحو إلهه المحب والرحيم، ويبلغ ذروته بكتابة الوصايا ثانية وتأكيد عهد الرب مع شعبه إسرائيل. وفي قصة العجل الذهبي نجد نموذجاً للتعاليم الموسوية من الرب، وإعادة تفسيرها في مواقف جديدة من تاريخ إسرائيل. ونجد تشابهاً دقيقاً لهذه القصة مع ما ورد في (١مل ١٢: ٢٥ - ٣٣). التي تعكس موقفاً سياسياً بعد موت سليمان، عندما انقسمت المملكة إلى إسرائيل شمالاً (أفرايم) وعاصمتها السامرة، وإسرائيل جنوباً (يهوذا) وعاصمتها أورشليم. ويقيم يربعام الأول بن نباط (٩٢٢ - ٩٠١ ق.م) أولَ ملك للمملكة الشمالية، عجلي ذهب الواحد في دان شمالاً والآخر في بيت إيل جنوباً. حتى يُحْكِم قبضته على المملكة سياسياً. ويعلن يربعام قولته «هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر» (١مل ١٢: ١٨)، نفس ما جاء على لسان هرون قبلاً (خروج ٣٢: ٤). وفي كلا الحدثين نلاحظ طرق الإنسان الملتوية والتذمر والتعجل الذي للشعب.

لقد غاب موسى طويلاً على قمة الجبل، وافتكروا أنه قد أصابه مكروه أو شيء خطير. فطلبوا إلى هرون أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم (٣٢: ١) مثل باقي الشعوب قديماً. لقد أرادوا إلهاً قريب المنال حسبما اعتقدوا ولبس بعيداً عنهم (قارن إرميا ٢٣:٢٣-٢٤). آلهة شبيهة بالآلهة الكنعانية، وأسلوب عبادتهم الذي يتصل بالخصوبة والنماء والجنس والذبائح والأكل والشرب ثم اللعب (٣٢:٥- ٦).

وعندما نزل موسى من الجبل بعد أربعين يوماً وهو حامل معه لوحي الشهادة (وصايا الرب). ورأى الشعب وهو في حالته الماجنة والمليئة بالصخب والمجون. امتلأ غيظاً وغضباً، وكسر لوحي الشريعة معلناً أن الشعب قد كسر عهد الرب وأضاع كل رجاء.

إن هذا الحدث يقدم خلفية لأصحاحي (٣٣، ٣٤). ولأول وهلة نلاحظ بأن كل رجاء لإسرائيل قد انقضى واندثر، إذ كيف يصحب الله هذا الشعب الأثيم دون غضبه عليهم.

وهنا يتوسط موسى لدى الرب (يهوه) الإله المنقذ القدوس، والمحب في ذات الوقت. الإله الذي اكتملت في شخصه العظيم المبارك صفات العدل والرحمة والغفران، ويعمل في حرية تامة حسب مسرته. «أتراءف على من أتراءف، وأرحم من أرحم» (خروج ٣٣: ١٩). والغفران ليس شيئاً رخيصاً وسهلاً، بل هو فرصة جديدة يقدمها الرب مثيرة للرهبة. التي عبر عنها المرنم قائلاً: «لأن عندك المغفرة لكي يُخاف منك» (مزمور ١٣٠: ٤).

وفي هذا السياق يظهر ولأول مرة إقرار إيمان عظيم مركزه اسم الله (الرب) «فاجتاز ملاك الرب قدامه ونادى: الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية. ولكنه لن يبرئ إبراء. مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع» (خر٣٤: ٦ - ٧).

إن هذه الأحداث كما يرى أحد الباحثين تقدم صورة حية صادقة تظهر أن إسرائيل لم يكن أفضل من الشعوب الأخرى دينياً أو أخلاقياً . بل هي النعمة الإلهية التي جعلته مميزاً . وهذا واضح في كلمات موسى النبي : «أليس بمسيرك معنا فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض» (٣٣ : ١٦). إن تميزهم هذا هو في سير الرب أمامهم فقط . وبغفران الله يتجدد العهد الذي كُسر بجهلهم وعنادهم وتمردهم. إنه الغفران الإلهي الذي يذهب إلى أبعد مما يتوقع إنسان ويفتح طريقاً جديداً إلى المستقبل. «ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب. لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد» (إرميا ٣١ : ٣٤).

ويلاحظ أن العهد الذي قطعه الرب مع موسى والشعب هو نفس الكلمات التي كانت علي اللوحين الأولين اللذين كسرهما موسي (٣٤: ١، ٢٨). وقد جاءت مقدمة هذا العهد بوعد من الرب بأنه سيجري آيات وعجائب معهم (١٠، ١١) إن حفظوا وصاياه .كما جاء في عددي (١٤، ١٧) نهياً قاطعاً عن عبادة الآلهة الأخرى الوثنية بصنع تماثيل أو صور لها مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض (٢٠:٤). هذا التعليم الذي وصل إلى ذروته في (إش ٤٠: ١٨-٢٦) محذراً إياهم من صنع آلهة مسبوكة.

لقد كان عهد الرب مع شعبه في حد ذاته دعوة لاتخاذ القرار بالطاعة لأن اسم الرب غيور (٣٤ : ١٤)، محذراً ومنذراً : «احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتُدعى وتأكل من ذبيحتهم . وتأخذ من بناتهم لبنيك فتزني بناتهم وراء آلهتهم ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن » (٣٤ : ١٥ - ١٦).

ويرى أحد العلماء بأن حدث الخروج والعهد في سيناء هما أساس وسر وجود إسرائيل في الوجود لتحفظ عهد الرب إلهها وتسير في كل طرقه لأنه هو خلاصها وفاديها (٢٠: ٢-٤). حتى تأتي بالشعوب الوثنية الأخرى إلى الإيمان والتعلق بهذا الإله الحي خالق السماء والأرض.